

سبعة يظلهم الله في ظله - 2

إخوة الإيمان:

كانت خطبة الجمعة الماضية في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله في ظله...، ونحن اليوم بمشيئة الله وتوفيق منه سبحانه وتعالى: مع تمة لمواصفة هؤلاء السعداء المرضيين الذين يُنجبهم الله من هول ذلك اليوم الرهيب، ويظلهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله! اللهم أجعلنا منهم! أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن أناس سينجبهم الله من هول يوم القيامة، من هول ذلك اليوم الرهيب الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها. ولشدة هوله يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه...

ونحن اليوم إخوة الإيمان، مع تمة هذا الحديث الشريف الذي يحكي لنا إكرام الله عز وجل يوم القيامة لطوائف من المؤمنين حيث يشتد الهول ويعظم الكرب ويصل عرق بعض الناس إلى آذانهم! وإن الشمس في ذلك اليوم تدنو من رؤوس الخلائق حتى تكون منهم قدر ميل أو ميلين! وينالون أشد الأهوال فيشملهم الهم والغم والكرب والحزن حتى يشيب من هول ذلك اليوم المرضع! لكن هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات يكرمهم الله وتشرق عليهم شمس السعادة والنعيم! ويشعرون بالحفاوة وإكرام الليل! فيظلهم الله في ظل عرشه حيث لا ظل إلا ظله أي يكونون في مقام التكريم! وفي كنف رب العالمين ورحمته! ويؤمنهم الله من هول ذلك اليوم ويفرج همهم وغمهم وكرهم! فلا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس لماذا يكرم الله هؤلاء؟ لأن الله وعد من اتصف بهذه الصفات كلها أو بعضها،

ونحن اليوم مع الصفة الرابعة، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ؛ رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ أَي أَحَبَّ كُلُّ مِنْهَا الْآخَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتِهِ، لَا يَفْرُسُ دُنُوبِي، وَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ، أَي اسْتَمَرَّا عَلَى مَحَبَّتَيْهَا لِأَجْلِهِ سُبْحَانَهُ، أَي حُبِّهَا لِلَّهِ صَادِقٌ فِي حِينِ اجْتِمَاعِهَا وَافْتِرَاقِهَا، تَحَابَّا فِي اللَّهِ، تَجْمَعُهُمُ الْحُبَّةُ فِي اللَّهِ وَيَتَفَرَّقُونَ وَهِيَ كَذَلِكَ، لَا غِيْبَةَ وَلَا نِيْمَةَ وَلَا مَعْصِيَةَ وَلَا فِتْنَةَ، وَلَا غَدْرَ وَلَا مَخْدِرَاتٍ وَلَا قَنَوَاتٍ وَلَا مَوَاقِعَ، إِنَّمَا اجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمُحَبَّةِ فِي اللَّهِ، وَيَتَفَرَّقُونَ وَهِيَ كَذَلِكَ، لَا أَحَدٌ يَمْكُرُ بِالْآخِرِ وَلَا يَغْتَابُهُ وَلَا يَغْدُرُ بِهِ وَلَا يَغْشَاهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي قَفَاهُ، يَحْفَظُ مَوَدَّتَهُ وَصِدَاقَتَهُ وَكَأَنَّهُ حَاضِرٌ مَعَهُ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِيْطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَفْهِمْ لَنَا؟ نُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وَجُوْهُهُمْ لَتُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخْفَوْنَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس] [صحيح أبي داود للألباني]

الصف الخامس: وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَمَنْصَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، أَي رَجُلٌ طَلَبَتْهُ لِلْفَاحِشَةِ امْرَأَةٌ حَسَنَاءَ، ذَاتُ حَسَبٍ وَنَسَبٍ، وَمَالٍ وَجَاهٍ، وَمَرْكَزٍ مَرْمُوقٍ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، يَقُولُ ذَلِكَ بَقَلْبِهِ وَيُصَدِّقُهُ فِعْلُهُ، بَأَن يَمْتَعَهُ خَوْفُ اللَّهِ مِنْ اقْتِرَافِ مَا يُغْضِبُهُ سُبْحَانَهُ، وَخَصَّ ذَاتَ الْمَنْصَبِ وَالْجَمَالِ؛ لِكَثْرَةِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، وَهِيَ هَذِهِ الْمَغْرِبَاتُ الْكَثِيرَةُ جَمَعَ أَكْمَلَ الْمَرَاتِبِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَهَذِهِ صِفَةُ الصَّادِقِينَ، نَعْمَ هِيَ الَّتِي دَعَتْهُ، وَهِيَ ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ، وَمَعَ تِلْكَ الْإِعْرَاضَاتِ تَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، تَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ رَقِيبُهُ، تَذَكَّرَ أَنَّ هَذَا فِعْلُ شَيْنٍ مَشِينٍ، وَمِنْ فِعْلِ السَّافِلِينَ الْمُنْحَطِّينَ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ حِجْرَهُ خَوْفَهُ مِنَ اللَّهِ، مَنَعَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَقَعَ فِي الْفَاحِشَةِ رَغْمَ الْمَغْرِبَاتِ وَالِدَوَاعِي، رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ، دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا فَكَانَ رَجُلًا فِعْلًا، وَذَلِكَ لِيَقِينَهُ أَنَّ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ مَعَهُ يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ، تَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ بَعْلَمَهُ... يَرَاهُ وَيَرِاقِبُهُ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَضْمَنَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ (صحيح البخاري) وَاللَّهُ يَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ هُمْ يُعْرَضُونَ يُخَفِّضُونَ إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ [المؤمنون]

الصف السادس: رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ التَّطَوُّعِ، فَبَالَغَ فِي إِخْفَاءِ صَدَقَتِهِ، وَسَتَرَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَلَا تَعْلَمُ شَيْئًا مَا تُنْفِقُ بِمِئْتِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَمِينَ وَالشِّمَالِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْإِخْفَاءِ وَالْإِسْرَارِ بِالصَّدَقَةِ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهَا لِثَرِبِ الْيَمِينِ مِنَ الشِّمَالِ وَمِلَازِمَتِهَا، وَمَعْنَى الْمَثَلِ؟ لَوْ كَانَ شَيْئًا رَجُلًا مُتَيَقِّظًا مَا عَلِمَهَا؛ لِمُبَالَغَتِهِ فِي الْإِخْفَاءِ، وَهَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ فِي الصَّدَقَةِ، وَالْأَبْعَدُ عَنِ الزِّيَادَةِ، وَإِنْ كَانَ يُشْرَعُ الْجَهْرُ بِالصَّدَقَةِ وَالرِّكَاتَةِ إِنْ سَلِمَتْ عَنِ الزِّيَادَةِ، وَلِيَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ، وَإِلْظَاهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ صَدَقَةٌ وَمَا ذَكَرَ مَقْدَارَهَا إِنَّمَا ذَكَرَ كَيْفِيَةَ إِخْرَاجِهَا وَإِعْطَائِهَا، وَالْإِخْفَاءُ مَعْنَاهُ إِخْلَاصُ الصَّدَقَةِ مِنْ قَلْبٍ صَادِقٍ، وَفِي حَدِيثٍ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ (متفق عليه) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، (البخاري ومسلم) شَقُّ تَمْرَةٍ قَدْ يَنْقُذُكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ، تَصَدَّقُوا وَدَعُوا الْبَخْلَ وَالشَّحَّ، فَإِنَّ رَبَّنَا يَقُولُ: وَمَنْ يوقِ شَحَّ نَفْسِهِ... وَقَالَ: وَمَا أَنْقَضْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

[سبأ] تصدقوا أيها المسلمون على أهاليكم وعلى أقاربكم، وعلى جيرانكم وعلى أرحامكم، وعلى من عرفتم ومن لم تعرفوا مادام أهلاً للصدقة وبقبلها، يقول ربنا: إِنَّ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَكَفَّرَ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة]

وسابع الأوصاف: رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاصَتْ عَيْنَاهُ؛ ذكر الله وتذكر عظمته وقوته ورحمته وحكمته وعدله وعلمه، قرأ كتابه وهو خالٍ ليس بجواره أحد يرائيه فبكى أي دمعت عيناه؛ لما عرف من صفات الله العظيم سبحانه بكى؛ يقول تعالى عن وصف الصالحين: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [المائدة] وقال صلى الله عليه وسلم: عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (صحيح الترمذي للألباني) رَجُلٌ تَذَكَّرَ بِقَلْبِهِ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَلِقَاءَهُ، وَوُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمُحَاسَبَتَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ، حَالَ كَوْنِهِ خَالِيًا مُنْفَرِدًا عَنِ النَّاسِ؛ لأنه حينها يكون أبعد عن الزبانيء، وهؤلاء السبعة أي سبعة الأوصاف من الناس يأتي بهم الله تعالى، ثم يجعلهم في ظله، في كرمه حتى يحكم بين العباد، ثم يدخلون الجنة بحمده وفضله، اللهم أظننا بظلك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ونعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر شياطين الجن والإنس.

خطبة الجمعة ليوم 27 شتنبر 2024 م